

تحية

أكثر من 60 سنة مرت على عرض «إلى أين؟» في المسابقة الرسمية من مهرجان كان السينمائي». بعد كل هذه السنوات، عاد

المخرج التسعيني في أيار (مايو) الماضي إلى المدينة الفرنسية الساحلية في مناسبة عرض النسخة المرممة من الشريط ضمن «كلاسيكات كان». اليوم، تعيد «متروبوليس

نسخة مرممة من «إلى أين؟» في «متروبوليس»

جورج نصر.. الالب



ساندرا الخوري

لزم الأمر ما يزيد عن نصف القرن ليرى جورج نصر (1927) نفسه مكرماً في المهرجانات الدولية مجدداً وفي لبنان خصوصاً. هو الذي اعتبر 2017 سنة التكريمات التي بدأت في «مهرجان كان السينمائي الدولي» واستكملت بصور فيلم وثائقي «نصر» - 65 دقيقة - للمخرجين بديع مسعد وأنطوان واكد، وكتاب حول مسيرته بعنوان «جورج نصر: السينما الداخلية» (إشراف غسان قريط - منشورات جامعة الـ «لبنان»). علماً أن نصر تولى تعليم مادة الإخراج هناك على مدى سنوات.

التقته «الأخبار» في أحد مقاهي الحمرا حيث اعتاد الجلوس. عدنا معه بالذكريات إلى خمسينيات القرن الماضي وإلى مسيرته الشاقة في عالم السينما، وإلى ما اعتبرها فترة محاربة له.

في أواخر الأربعينيات، كان جورج نصر طالباً

بحوي تاريخ لبنان ما يغذي السينما لعشرات السنين (ج. ن)

في الهندسة المعمارية في إحدى جامعات شيكاغو. ابن طرابلس. كما يقول. كان بحاجة إلى رؤية البحر، وعندما انتقل لإكمال دراسته في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، لم يُعترف بسنتي الدراسة اللتين قضاهما في شيكاغو، فاضطر للبدء من الصفر. تعرّف مصادفة إلى رجل كان يسكن في المكان نفسه الذي استأجر فيه غرفة، فأخبره عن اختصاص السينما في الجامعة نفسها حيث كان يدرس. اعتبره نصر بمثابة وحي من الله، هو الذي كان يشاهد سبعة أو ثمانية أفلام في الأسبوع، فكانت تلك البداية في عالم السينما.

مع انه عمل لثمانية أشهر في استديوهات هوليوود بعدما تخرّج، لم يرغب نصر في

البقاء هناك، إذ رأى أنه سيحتاج إلى أكثر من 10 سنوات ليعرف درب الشهرة. فضّل العودة إلى بيروت. وبعد فترة تدريب في باريس، بدأ البحث عن منتج لفيلمه الروائي الأول وعن موضوع مناسب: «كنت قد ذهبت قبل عام للبرازيل، ورأيت اللبنانيين ينامون في الحدائق. كما زرت نيويورك لاحقاً ولاحظت

الانتشار اللبنانيين هناك. في أحد الأيام، رأيت منهم من ينتظر أمام باب مطعم أملاً بالحصول على بعض فترات الطعام. وهكذا ولدت فكرة الحديث عن الهجرة التي كنت ضدها». عن ذكريات التصوير وصعوباته آنذاك، يخبرنا نصر: «اخترت منطقة درعون بالقرب من حريصا وكان الضباب يلفّها غالباً.

رحلة الترميم وسيرة المخرج

تعرض «متروبوليس أمبير صوفيل» النسخة المرممة من «إلى أين؟» الذي يشكّل محطة مهمة في تاريخ السينما اللبنانية، إذ وصّغها على خريطة الفن السابع العالمية كونه شارك عام 1957 ضمن المسابقة الرسمية لـ «مهرجان كان». وكان بذلك أول عمل سينمائي لبناني يُعرض عالمياً. كذلك، تقيم «متروبوليس» بالتوازي عروضاً للشريط الوثائقي «نصر» (Un Certain Nasser) الذي يتناول سيرة المخرج.

وكان جرى ترميم «إلى أين؟» بمبادرة من شركة «أبوط برويكشنز» (About Productions)، ومؤسسة سينما لبنان، و«نادي لكل الناس». وعُرّضت النسخة المرممة ضمن تظاهرة «كلاسيكات كان» (Cannes Classics) في الدورة السبعين من المهرجان، بعد 60 عاماً على مشاركة الفيلم في المهرجان. وكان جورج نصر حاضراً شخصياً خلال عرض الفيلم في مشهد مؤثر.

أما الوثائقي، فهو من إخراج أنطوان واكد وبديع مسعد، ويتبع مسيرة جورج نصر والمعارك التي خاضها من أجل إيجاد صناعة سينمائية في لبنان، ويربط بين قصة حياته وقصة ولادة وتطور السينما اللبنانية. وقد حصل «نصر» في 30 تشرين الثاني (نوفمبر) الفائت على «جائزة صلاح أبوسيف» لأحسن إسهام فني من مسابقة «آفاق السينما العربية» ضمن الدورة 39 من «مهرجان القاهرة السينمائي».

وأملت ميريام ساسين من شركة «أبوط برويكشنز» في أن يُقبل الجمهور على حضور هذا الفيلم «الذي يشكّل محطة مهمة في تاريخ السينما اللبنانية». وقالت: «نحن فخورون بأننا ساهمنا من خلال ترميم هذا الكنز الوطني، في توثيق هذا الجزء من تاريخنا وحمايته وتعريف الأجيال الجديدة به وبمخرج بالغ الأهمية لا يعرف اللبنانيون تفاصيل مسيرته وقيمتها».

لم يكن التصوير سهلاً، خصوصاً في وجود ثلاثة أجيال في الفيلم. وكان من الصعب إيجاد الوقت المناسب لجمعهم، إذ إن الصغار يذهبون إلى المدرسة، أما الكبار فيعملون. كنا ننتظر أيام الفرص للتصوير، فاستغرق الأمر نحو 11 شهراً. لم يكن هناك من محترفين وتقنيين كما هي الحال اليوم، فاجتمعت بأصدقاء، وأسندت إلى كل منهم وظيفة ما في الفيلم. ثم اقترح عليّ في باريس، حيث أجريت المونتاج، أن أرسل الفيلم إلى «مهرجان كان». لم تكن هذه الفكرة في بالي من قبل، بل لم أملك الجراءة للتفكير بها أساساً. فكان بالفيلم أن أعجبهم وهكذا بات «إلى أين؟» أول فيلم يمثل لبنان رسمياً في «كان» ويضعه على الخريطة السينمائية للعالم. يوماً، كان «مهرجان كان» في سنته العاشرة».

لم يميز تصوير الفيلم وإنجازه من دون صعوبات أخرى على الصعيد التقني أيضاً. اضطر الطاقم إلى التصوير مجدداً بعد استخدام كاميرا غير ملائمة في المرة الأولى، إذ كان المصور رودريغ دحداح الآتي من عالم الدعايات لا يملك الخبرة في المجال السينمائي. يتذكر نصر: «في مشهد الدبكة في الفيلم، لجأنا إلى ثلاث كاميرات، ولم يكن هذا الأمر رائعاً آنذاك، وقد استغرب المبتدئون في عالم السينما الأمر. صورنا الفيلم من دون تسجيل صوتي، وعملنا على الدبكة لاحقاً في لبنان. ولكننا واجهنا صعوبة في فرق السرعة في الصوت بين لبنان وفرنسا أيضاً».

بعد العودة من «مهرجان كان» عام 1957، شعر نصر بخيبة كبيرة: «توقعت أن ينتج استقبالي في المطار، ولكن لم يكن هناك أحد. كما لم تقبل أي صالة لبنانية عرض الفيلم، إلا في الأوبرا. ولكن جمهور هذه السينما كان متعوداً على الأفلام المصرية. «إلى أين؟» موضوع لبناني وتمثله جامد، لم يتعرف الجمهور إلى نفسه فيه». ضمن فئة كلاسيكات التي يحتفي خلالها «مهرجان كان» سنوياً بأعمال قديمة